فدوى طوقان - إنه اللّحن الأخير

ما الّذي يملك أن يفعله قلبْ
يظلُّ الشعرُ والحبُّ قرينين من الجنّ
لصيقين به لا يبرحانه
ما الذي يملك أن يفعله قلبٌ على
طول المدى
هو طفل الحبّ يمضي سادرًا في غيّه
لا ينثني عن عنفوانه
ما الذي يملك أن يفعله قلبٌ
يحبُّ الحبَّ للحبِّ وللشعرِ
وللمعنى الجميلْ
يا له قلبًا حزينْ
مستعيذًا برؤى الشّعر ودفءِ الحبّ من
هجمَةِ العمرِ ومن وطءِ السنينْ
ما الذي يملك أن يفعله
خافقٌ ينبض بالشّعرِ وللشّعرِ عليه
سطوة السيّد والمولى الأمير!
يا حياءَ العمرِ, يا هذا الخجولْ
إنّ هذا قدَرُ العمر وهذا
آخرُ الإيقاعِ في اللّحن الأخيرْ
إنه اللحنُ الأخيرْ
في هذا الوقت
النوم عصيٌ
والليل تطول مسافته
والصمت رفيقْ
يا سيّد قلبي يتمنّى
قلبي في هدأة هذا الليل
لو يعبر حُلْمك بعض الوقت
لو يدخل في طيات الحلم
ويسرب طيفًا في عينيك
يتسلل من تحت الأجفانِ
ليلامسَ جبهتَك السمراء
ويرشف دفء يديك
يا سيّد قلبي يتمنّى
قلبي في هذا الوقت
لو يزرعُ عند وسادةِ رأسِك
وردة حبّ
تحكي في همسٍ عن شوقْ
يتجدّدُ في مجراه كما
يتجدّد ماء النهر
تنبيك بأنك في شعري
أنت المعنَى أنت الرمزْ

إنك إيقاعُ حياتي
والنغم الأحلى في عمري
تحكي في همس عن حبٍّ
هو أغربُ حبّ
حبُّ الأختِ أخاها
حبُّ الأم لواحدِها
حبُّ صديقٍ لصديقْ
يا سيّدي قلبي
هذا حبي الظاهرُ لكن
في قلبي شيءٌ آخرُ
يختبئُ وراءَ الصمتْ
ليتك تفهمني في صمتي
في صمتي رؤيا تتّسع وتكبرُ
والكلمات تضيقْ!